

ال حياة

نظرة نقدية إلى التجسس الإلكتروني المشتبه بتفشيته في الدول العربية

الأربعاء، ٢٧ مايو/ أيار ٢٠١٥ | ٨ شعبان ١٤٣٦

في عصر أصبحت فيه شبكة المعلومات الدولية ضرورة يومية لبلايين البشر، تصبح خصوصية الأفراد على المحك كلما توسّعت الشبكة واجتذبت أعداداً أكبر من المستخدمين. وتتسبب تلك المعضلة في تصدّعات في تلك الشبكة، وفق بعض المسؤولين في شركة «غوغل» التي لا تتردد أيضاً في إبداء «انزعاجها» من تجسس الحكومات على مواطنيها عبر الإنترنت. في السياق، يذكر أن العام 2013 كان حافلاً بفضائح التجسس التي طاولت إدارة الرئيس باراك أوباما ومؤسسات استخباراتية في أميركا: أكبر قوة اقتصادية وصناعية عالمياً. وسرعان ما رشحت بعض التسريبات حول اتفاقيات جرت بين «وكالة الأمن القومي» الأميركية، وهي واسطة العقد في مجتمع الاستخبارات في الولايات المتحدة، ومجموعة من كبريات شركات الإنترنت، وفق ما تداولته مجموعة كبيرة من وسائل الإعلام. وفي خضم تلك التموجات، ارتفع صوت مجموعة من مديري «غوغل» متحدّثاً عن قلق الشركة من تلك الأجواء الفضائحية. وأعقب ذلك مطالبة «غوغل» الكونغرس بالسماح لها بتوجيه تحذيرات لمستخدميها في حال تلقّيها طلباً من الحكومة لمراقبة أفراد من ذلك الجمهور الواسع. تلا ذلك صدور صرخات تحدّ من شركة «أبل» بوجه حكومة البيت الأبيض، مع إنذار بأن الشركة سوف توجه إخطارات تلقائياً إلى الأفراد الذين تطلب الحكومة من الشركة ممارسة نوع من الرقابة عليهم، مع استثناء من تصدر السلطات الفضائية أحكاماً تسمح بوضعهم قيد رقابة الحكومة.

بعيون مصرية

جرجر المشهد السابق نفسه عبر السنة المنصرمة، بل أن ملامحه ما زالت ملحوظة في العام الجاري. وعلّق الباحث المصري في الحريات الرقمية محمد الطاهر، وهو أيضاً أحد أعضاء منظمة «حرية الرأي والتعبير»، على الأمر مؤكّداً أن التجسس الإلكتروني لا يقتصر على الولايات المتحدة، بل تمارسه دول كثيرة كفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة. ولاحظ أن التجسس الحكومي الإلكتروني لم يتوقف حتى اللحظة، لكن الموضوع يزداد تعقيداً وسوءاً، بل صار بارزاً بصورة نائمة في مجموعة من الدول العربية. وأشار الطاهر إلى أن الجمهور العربي يستطيع أن يتنبّأ بنفسه من مسألة التجسس الحكومي عليه، بإجراء بحث بسيط عن ذلك الموضوع على الإنترنت. ولاحظ أن المواد الإعلامية المتوافرة عن ذلك الموضوع تشمل تسريبات غير مؤكدة وتكهّنات وتصريحات وتصريحات المضادة. وأضاف: «إذا كنت ممن ينشدون الموضوعية في شتى أمور الحياة، فلن تسعفك الحيلة للانتصار لأحد الطرفين. ولا مفر للمرء من بذل جهود كي يستثني تلك المواد التي تبدو كأنها تنطق عن الهوى، ليصل إلى رسم صورة فيها قدر معقول من الحيادية عن ذلك الموضوع.»

في السياق عينه، تحدّث باحثان مصريان في الحريات الرقمية عن الطريقة التي ابتدأ فيها ذلك الأمر في القاهرة، التي شعرت بالموضوع بعد ظهور عدد من التسريبات التي تناولتها الصحف في شكل مكثف. إذ رجّح الباحثان محمد الطاهر ورامي رؤوف الفضل، أن ذلك حدث بعد اقتحام متظاهرين مقر جهاز أمن الدولة المُنحلّ خلال «ثورة 25 يناير.»